الرحلات الحجازية وصلة بين شقي العروبة

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

لا يوجد فى تاريخ الانسانية موقع جغرافى حج اليه ملايين البشر فى كل جيل مثل الجزيرة العربية ، ولا يوجد موطن استقطب خمس الانسانية فى طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز ، الوطن الروحى الاول لكل مؤمن فادعاء الاغتراب فى مهبط الوحى ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ فى عقيدة كل مؤمن يستشف فى مثوى الرسول رمز الرحمة والمثالية واشعاع الروح وايماض الوجدان فلذلك لم تعرف مواقع السياحة الدولية مسارا اكثر استرواحا واشد استمراحا من هذه الارض الطاهرة التى ظلت كعبة الرواد منذ انطلقت دعوة ابراهيم الخليل الاب الثانى للبشرية تذكى الافئدة والمشاعر خلال اربعة آلاف السنين وشاء القدر الذى هيأ لهذه البقعة المقدسة ان تكون منارا للانسانية جمعاء — ان تكون ايضا منطلق الحضارات التى اشعت على الرافدين ونهر بارادا والبحر المتوسط وقد جمعنا الحجج التاريخية النابعة من الحفريات الاثرية ومقارنة اللهجات السامية الدالة على ان الجزيرة العربية هى منبثق الحضارات السامية التى كيفت اقاليم الهلال الخصيب وماوراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بان العرب البائدة الاصيلة هى التى نزحت من جنوب الجزيرة العربية حول الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق واستقرت فى مناطق بابل الى آسيا الصغرى ومنها انطلق الآخيون والدوريون فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى بحر ايجه لتاسيس ممتدنات اليونان . (1) فلا بدع اذن ان تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضارى فى تاريخ المستقبل لانها هى النبع الوحيد الذى يفيض ليغمر تواريخ الانسانية فى كل مكان وخاصة فى المعمور الذى رفرفت عليه الوية الاسلام .

وقد تجلت هذه النفحات فى آلاف الرحلات التى دونها المسلمون طوال ازيد من الف عام فى مختلف بقاع الارض ليسجلوا انطباعاتهم وارتساماتهم فى طريقهم اللاحب الى الحرمين

وقد يكون من العبث محاولة تقصى هذه النفحات بالنسبة لاقليم بذاته فضلا عن المجموع غير ان استعراضا موجزا لرحلات ضمن مكان مخصوص كرحلات المغاربة فى مختلف العصور تعطينا صورة عن مدى اسهام الفكر العربى المسلم فى هذا الشق الغربى للعالم العربى فى دعم مقومات الكيان الذى هو من ابرز مفاخر تراثنا ومظاهر وحدتنا .

وهاكم نبذة يسيرة ونموذجا مقتضبا عن الرحالين المغاربة :

— ابراهيم السوسى العينى (المتوفى عام 1199 هـ / 1784 م) .

---

1) راجع بحثا حول «اللغة الام» فى مجلة اللسان العربى م 11 ج 1

له رحلة الى الحجاز فى مجلدين

وقف على نصفها بخط المؤلف فى مجلد المرحوم العلامة المختار السوسى فى قرية داود (قبيلة اكلو بضواحى تزنيت جنوبى المغرب) وقد اختصرها محمد ابن مسعود المعدرى ووقف على الاختصار كذلك الشيخ المختار السوسى وهو مبتور كالاصل

ـ ابن ابى عسرية احمد الفاسى الفهرى (1137 هـ / 1724 م) ·

له رحلة حجازية نقل عنها صاحب «نشر المثانى» فى ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوى السريفى ونسبها له سلطان المغرب مولاى سليمان فى كتابه «عناية اولى المجد» ولعلها ضاعت

ـ الازرقى احمد بن محمد ابو محمد اسحاق الخزاعى الفاسى له «تاريخ مكة» (نسخة بالمانيا الشرقية عدد 1705) ·

ـ ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى (779 هـ / 1377 م)

له «تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار» وهى لا تزال مفقودة لم ينشر منها الا قسم اختصره ابن جزي (بأمر السلطان ابى عنان المرينى) توجد نسخة منها بمكتبة جامعة القرويين بفاس (عدد 1285) وست نسخ بالمكتبة الملكية بالرباط من عدد (151 الى 1356) ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط (عدد 1376) · طبعت مرارا اعوام 1278 / 1322 / 1346

ـ ابن جبير محمد بن احمد الكنانى الاندلسى (614 هـ / 1217 م)

له رحلة اسمها « تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار» نشرها ويليام رايت Wright الانجليزى عام 1269 هـ / 1852 م) · كما نشرت فى ليدن عام 1325 هـ 1907 م ومخطوطاتها نادرة توجد نسخة مبتورة بالزاوية الحمزاوية بالمغرب واخرى مبتورة ايضا بالمكتبة الملكية بالرباط (عدد 5855)

ـ ابن جزى محمد بن احمد (741 هـ / 1340 م)

له فهرست كبيرة اشتملت على كثير من رجال المشرق ومن بينهم شيوخ الحجاز

ـ ابن جعفر احمد الكتانى (1340 هـ / 1922 م)

له فهرست عد فيها اشياخه المشارقة مع نصوص اجازاتهم · توجد نسخة عند ولده الاستاذ محمد ابراهيم فى ثلاثة كراريس ·

ـ ابن جعفر محمد بن ادريس الكتانى (1345 هـ / 1926 م) ·

له «الرحلة السامية للاسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية» الفها فى رحلته الاولى عام 1322 هـ / 1904 م ومات دون إتمامها والموجود منها سبعة كراريس ·

ـ ابن حسون احمد بن العربى الوزانى

له «الرحلة الوزانية المزوجة بالمناسك المالكية (فى 8 كراريس) رحل الى الحجاز عام 1269 هـ / 1852

توجد نسخة بخط المؤلف فى خزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسى واخرى فى الخزانة السودية بفاس ·

ـ ابن رشيد محمد بن عمر بن محمد السبتى (المتوفى بفاس 721 هـ / 1321 م)

له رحلة تسمى «ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة» (فى خمسة اجزاء مصورة بمعهد مولاى الحسن بتطوان وتوجد نسخة بالاسكوريال) ·

ـ ابن سعيد المغربى على بن موسى العنسى (685 هـ / 1286 م) ·

له « النفحة المسكية فى الرحلة المكية » (بالاضافة الى رحلته « عدة المستنجز ») ·

ـ ابن سودة عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ابن الطالب (ولد عام 1301 هـ / 1883 م) .

له « الرحلة الكبرى فى هذا العالم برا وبحرا » (رحل الى الحج عام 1327 هـ / 1909 م) وهى تقع فى اربعة اجزاء طبع الاول منها بالمطبعة الجديدة بفاس ·

ـ ابن طوير الجنة احمد المصطفى الصحراوى الحميرى الشنجيطى

له « رحلة المنى والمنة » قام بها بعد عام 1245 هـ/ 1829 م وهو غير ابن الطوير عمر المراكشى الذى شهر بالحجاز بابى الخطاب السوسى (المتوفى 622 هـ / 1225 م) ·

ـ ابن الطيب محمد الصميلى المتوفى بالمدينة المنورة 1170 هـ / 1756 م ·

له ثلاث رحلات منها رحلة قام بها عام 1139 هـ / 1726 م توجد نسخة فريدة منها فى خزانة ليبسيك Leipzig (بالمانيا الشرقية) وقف عليها الاستاذ محمد الفاسى ·

ـ ابن عثمان محمد المكناسى وزير السلطان المولى سليمان (1202 هـ) 1787 م)

له «احراز المعلى والرقيب فى حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب» (نسخة لابن زيدان ضمت الى المكتبة العامة بالرباط) ·

ـ ابن العربى المعافرى ابو بكر محمد بن عبد الله (543 هـ / 1148 م) ·

له رحلة توجد نسخة منها فى مكتبة السيد عبد الحى الكتانى التى ضمت الى المكتبة العامة بالرباط وهى فى اسفار ذكرها الناصرى فى رحلته واشار اليها المراكشى فى الاعلام ج 5 ص 223) ·

ـ ابن مليح محمد بن احمد السراج ·

له «رحلة حجازية اسمها» انس السارى والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب وسيد الاعاجم والاعارب » ·

ارتحل من مراكش عام 1040 هـ / 1630 م صحبة الركب الحجازى (نسخة بالمكتبة الكتانية فى عشرة كراريس عدد 3152) · وقد حققها الاستاذ محمد الفاسى ·

ـ ابن ناصر محمد بن عبد السلام (1239 هـ / 1823 م) ·

له «الرحلة الكبرى» فى سفرين رحل عام 1196 هـ 1781 م اختصرها المراكشى فى الاعلام (ص 193 ـ 233) ـ توجد نسخة فى خزانة تامكروت فى جزء ضخم ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 2327 (النصف الاول) والمكتبة الملكية بالرباط عدد 147 ·

له رحلة صغرى قام بها عام 1211 هـ / 1776 م (مجلد وسط فى الخزانة الاحمدية) ·

ـ ابو راس محمد بن احمد بن عبد القادر الناصرى المعسكرى الجزائرى الجليلى (1239 هـ / 1824 م) ·

له عجائب (او غرائب) الاسفار (نسخ بالجزائر عدد 1632 وتلمسان عدد 96 وباريس عدد 5114) ·

ـ ابو القاسم بن يوسف التجيبى السبتى رحل الى المشرق عام 696 هـ / 1295 م ·

له رحلة وقف عليها ابن حجر (كما فى « الدرر الكامنة ») فى ثلاثة مجلدات ضخام حذا فيها حذو ابن رشيد الذى رحل قبله بعشر سنوات وزاد هو تضمين الرحلة مشيخته مستوعبة ·

ـ احمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالى (1175 هـ / 1761 م)

له رحلة الى الشرق ·

ـ احمد بن عبد القادر بن على القادرى يدعى علالا عاش سبع سنوات فى القاهرة وتوفى بفاس 1133 هـ / 1721 م ·

له رحلة سماها : « نسمة الآس فى حجة سيدنا ابى العباس» (اى احمد بن معن الذى رافقه الى الحج عام 1100 هـ / 1689 م) توجد فى المكتبة الملكية عدد 8787 وكراريس منها فى الخزانة الفاسية ·

ـ احمد بن على بن محمد دينية الرباطى (1282 هـ / 1864 م) ·

له رحلة الى الحج (1267 هـ / 1850 م) ذكرها حفيده فى كتابه «النسمات الندية (طبعة الرباط 1936) ·

ـ احمد بن محمد احزى الهشتوكى ·

له رحلة اسمها «هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام» (توجد بخط المؤلف بخزانة تمكروت بالصحراء رقم 276) وقد شرع فى هذه الرحلة عام 1096 هـ 1684 م ·

ـ ادريس بن عبد الهادى الشاكرى (1331 هـ / 1913 م)

له رحلة حجازية فى كراستين توجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط عدد 1115 د ونسخة اخرى فى مكتبة الكلاوى ، وقد حج عام 1288 هـ / 1871 م وفى رحلة ثانية الى الحج توفى بالحجاز ·

ـ الحسن اليوسى له رحلة جمعها ولده محمد قام بها عام 1101 هـ / 1689 م

توجد نسخة منها فى المكتبة الملكية بالرباط عدد 2343 ·

ـ عبد الرحمن المدعو الغنامى الشاوى ·

له رحلة اشار اليها صاحب «صفوة من انتشر» ونقل عنها فى «نزهة الحادى» ·

— عبد السلام بن محمد بن المعطى السرغينى العمرانى المراكشى ·

له رحلة قام بها مع شيخه سيدى محمد الكتانى عام 1321 هـ / 1903 م توجد نسخة منها بخزانة الكتانى بالمكتبة العامة بالرباط ·

— عبد القادر بن ابى جيدة احمد الكوهن ·

له رحلة حجازية توجد نسخة منها بخزانة الكتانى

— عبد الله بن احمد ابو مدين الرودانى الدرعى (1137 هـ / 1723 م) ·

له رحلة حجازية ينقل عنها ابراهيم العينى فى رحلته (نسخة بخزانة تمكروت فى مجلد) ·

— عبد الله بن محمد الوردى المراكشى (كان حيا عام 999 هـ / 1590 م) ·

له رحلة حجازية (ذكرها ابن القاضى فى درة الحجال ج 2 ص 342) ·

— عبد الله بن محمد بن ابى بكر ابو سالم العياشى (1090 هـ / 1679 م)

له رحلة اسمها «ماء الموائد» فى مجلدين طبعت بفاس عام 1316 هـ / 1898 م

اختصرها محمد بن الحسن بنانى (المكتبة الملكية نسخ عدد 629 الى 5259) ورحلة اخرى سماها «تعداد المنازل» الفها لتلميذه احمد بن سعيد المكلاتى نسخة بخزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسى)

— عبد المجيد بن على الزبادى المنالى الفاسى 1209 هـ / 1794 م

له رحلة سماها «بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله الحرام» توجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط رقم 1808 د (فى 184 ورقة)واخرى بالخزانة الفاسية وقد تضمنت قصيدة رائية فى 129 بيتا جامعة لمراحل الحجاز من مصر الى مكة مع مناسك الحج عليها شرح اسمه «اتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك لاحد تلامذة تلاميذ الزبادى ·

— عبد الواحد بن الصنهاجى السوسى (1135 هـ 1722 م)

له رحلة ذكرها الشيخ الحضيكى فى الطبقات

— العربى بن على المشرفى المعسكرى المتوفى اوائل العشرة الثانية من القرن الرابع عشر له«الرحلة المريضة فى اداء الفريضة» يوجد طرف منها فى الخزانة السودية بفاس

— العربى بن محمد الدمناتى

له رحلة ذكرها ابو عيسى المهدى بن سودة فى ترجمته من فهرسته وقد رحل قبل 1244 هـ / 1828 وهى تعد مفقودة

— محمد بن احمد بن عبد الله الحضيكى

له رحلة حجازية (نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 896) واخرى بالمكتبة الملكية عدد 405

— محمد بن الحسن السبعى

له رحلة قام بها عام 1310 هـ / 1892 م (توجد نسخة منها بمكتبة الكتانى الملحقة بالمكتبة العامة بالرباط) ·

— محمد بن سعيد الرعينى الفاسى (778 هـ / 1376 م) ·

له رحلة نظم فيها مراحل الحجاز (جذوة الاقتباس ص 147) ·

— محمد بن سليمان بن داود الجزولى (863 هـ 1458 م)

له رحلة ذكرها ابن القاضى فى «لقط الفرائد»

— محمد بن عبد القادر الاسحاقى المدعو الجيلالى المتوفى بعد 1150 هـ / 1737 م

له رحلة قام بها عام 1143 هـ / 1730 م مع السيدة خناثة بنت بكار ام السلطان مولاى عبد الله بن المولى اسماعيل العلوى (تقع فى مجلدين يوجد الاول بخزانة جامعة القرويين) عدد ج ل 80 — 383 ·

— محمد بن عبد الله الولاتى الشهير بمولاى الشريف (1101 هـ / 1689 م)

له رحلة حجازية ربما ضاعت (الاعلام للمراكشى ج 5 ص 48) ·

— محمد (اوحم) بن عبد الوهاب الوزير الغسانى (1119 هـ / 1707 م)

«رحلة الوزير فى افتكاك الاسير»

له رحلـــة اخرى الى الحجاز

— محمد بن علي الرافعي التطوانـــي

له الرحلة الشرقية الحجازية (توجد نسخة منها بخزانة الاستاذ محمد داود بتطوان) (تاريخ تطوان ج 1 ص 312) ·

— محمد بن على الطرابلسى المعروف بزغوان

له رحلة اسمها «النفحات القدسية فى الرحلـــة الحجازية» (توجد نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عـــدد 1836 د (فى 103 ورقات) ·

— محمد بن على المعروف بالعياشى (لقبا لانسبا)

له رحلة حجازية ذكرها عبد المجيـــد بن علـــى الزبادى المنالى فى رحلته حيث وقف عليها فى مجلد بخط المؤلف بخزانة رواق المغاربة بالازهر الشريف ·

— محمد بن محمد المرابط الدلائـــى الفـــاسى (1099 هـ / 1687 م)

له الرحلة المقدسة (136 بيتا) ذكـــر فيها منازل الحج من فاس الى المدينة المنورة (راجع البدور الضاوية لسليمان الحـــوات)

—محمد بن محمد بن على العبدرى المتوفى آخر المائة السابعة ·

له رحلة قام بها عام 688 هـ / 1289 م تقـــع فى مجلد وسط توجد نسخ بالزاوية الحمزاوية بالصحراء المغربية وبالخزانة الاحمدية بفاس وبخزانة جامعـــة القرويين (عدد د 1012) والمكتبة الملكية بالرباط (1351 6594 / 869 / 2810 وجامع الزيتونة (53) والمكتبة الوطنية بباريس (2283) وليدن (801) والاسكوريال (1738) اختصرها ابن قنفذ فى كتاب سماه «المسافة السنية فى اختصار الرحلـــة العبـــدرية» (وقـــف على الاختصار بسوس الشيخ المختار السوسي (راجع كتابه « من خلال جزولة ») ·

وقد طبع الرحلة الاستاذ محمد الفاسى عـــام 1968 ، وكان لرحلته اثر كبير فى الشرق حيث قرا على شيوخ جلة وتتلمذ عليه آخـــرون ·

— محمد بن محمد بن محمد التامراوى (1285 هـ 1868 م)

له رحلة قام بها عام 1242 هـ اوردها بنصهـــا محمـــد المختار السوسي فى كتابـــه المعسول (ج 8 ص 198 — 213) ·

ومن فوائد الرحلة استيراد المؤلف لكتـــب كثيرة بخط مشرقى عززت التبادل الثقـــافى بـــين المشرق والمغـــرب (1) ·

— محمد بن منصور العامرى التازى (المتوفى حوالى 1170 هـ / 1756 م)

له «الرحلة العامرية» وصف فيها المراحل مـــن تازة الى الحرمين والشام وهى همزية نظمها فى 335 بيتا عام 1152 هـ توجد نسخة بالمكتبة الاحمدية بفاس ونسختان بمكتبة الاستاذ محمد المنونى بمكناس احداهما بخط المؤلف وقد نشر المنونى نص هذه الرحلة فى كتابه «ركب الحج المغربى» ص (88)

— نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن غـــازى المكناسى (النيل ص 272) ، وهنالك رحلات اخرى غير هذه يتعذر استيفاؤها وانما اعطينا نماذج لنلمس مدى اهمية هذا النوع من التراث فى القاء اضواء كاشفة على جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة العربية والاقطـــار الواقعة فى طريق الحجيج وهى دول المغرب العـــربى وليبيا ومصر بالنسبة الينا نحن المغاربة الرابضين بين البحر المتوسط والمحيط فهناك مثلا رحلات سوسيـــة كثيرة منها فى خصوص القرن الثانى عشر فقط علاوة على ماذكرنا رحلة ابى مدين ورحلة اليبوركى ورحلتا احمد احوزى الكبرى والصغرى ورحلة عبد الواحـــد ابن الحسن الصنهاجى وغيرهم ·

ولا توجد فى جغرافية «المسالك والممالك» قطعة من الارض حظيت بعناية الرحالين والمؤرخين مثـــل الطرق الكبرى المؤدية الى الحجاز التى صنفت فيها مآت الكتب المختلفة المنازع والاساليـــب ومآت القصائـــد الحافلة بوصف المنازل والمراحل علاوة على ما تطفح به من مشاعر الحنين التى جعلت من هـــذه الطـــرق لا متعبدات فقط بل مجمعات استوثقت عبرها الصلات بين الشعوب الاسلامية ومبادلة الاجازات بين العلماء وتلاقح الفكر العربى والاسلامى مما لم يعرف له نظير حتى بعد عصر النهضة وما طرا من سهولة وسرعة على المواصـــلات ·

(1) راجـــع كتابنا «رسل الفكـــر بـــين الشرق والغرب» فى مختلف العصور ·

بل ان طرقا صوفية سنية كطريق ابى محمد صالح دفين آسفى (وهو من رجالات القرن الثامن امتدحه شعراء الشرق مثل البوصيرى)اقتصر شعارها الصوفى على ترحيل الحجيج من المغرب الى الحجاز وتوفير النزلات ومتطلبات السفر على طول المراحل وخاصة خلال الصحراء وكان هؤلاء الحجيج الذين لم تكن تخلو منهم الجادات والسبل الكبرى طوال السنة يتواكبون فى ركب موصول يسمى «الركب الصالحى» يستهدف بالاضافة الى اداء فريضة الحج توثيق الرباط بين الشعوب الاسلامية وكانت لافواج الحجيج قوافل تنحدر من شنقيط وكبريات عواصم المغرب لتتجمع بسجلماسة او مراكش او فاس ومنها تتخذ طريقها متكاتفة عبر ما سماه الرحالة ابن المليح بطريق الفقهاء اى فقهاء المذهب المالكى الذين كانوا ينحازون عن متجمعات الخوارج فى بعض مناطق المغربين الاوسط والادنى للانسلال من بلاد (نزان) الى ارض الكنانة ·

وقد تبلور نتاج هذه الروابط علاوة على الرحلات فيما صنفه العلماء من فهارس واثبات سجلوا فيها اجازاتهم وارتساماتهم وما جنوه من ثمار خلال رحلاتهم فلم يقل هذا النوع من المعلومات فائدة ولا عائدة عن مضامين الرحلات وكانت الصلات حقا متبادلة الا انها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من الشرق ومع ذلك فان فكرهم النابع من اجازاتهم ودروسهم ومؤلفاتهم كان يرحل الى المغرب مع العائدين فيسهم بحظ وافر فى اثراء المكتبة العربية الاسلامية فى المغرب العربى ومازالت مكتباتنا العامة والخاصة تزخر بنوادر المخطوطات الشرقية التى ضاع بعضها فى الشرق واحتفظ المغرب باصولها الفريدة ويندهش البحاث المشرقى عندما يتصفح فهارس المخطوطات بالمغرب فيجد مآت المصنفات الاصيلة التى لا تعرف مكتبات الشرق الا عناوينها محفوظة مصونة تنتظر توثيق التعاون بين شقى المعروبة لاحياء هذه المعالم الناصعة لتراثنا المشترك وهو عمل يجب ان لا نتوانى فى وضع التخطيطات الرصينة لبعثه لانه لا يقل اهمية عن باقى مقومات تراثنا ودعامات كياننا الحضارى ، وقد حاولنا استيفاء ما لدينا من عناصر هذا التراث فى المعلمة التى اصدرناها بعنوان «الموسوعة المغربية للاعلام الحضارية والبشرية » والتى طبع منها لحد الآن خمس فصلات من خمسين تحتوى بالنسبة لكل عالم مغربى على منجزاته العلمية مثبتة بأرقامها فى سجلات المكتبات المغربية العامة ويبذل الآن « معهد المخطوطات » التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قصارى الجهد لتصوير التراث وجعله فى متناول الدارسين والباحثين من اجل تحقيقه وطبعه ولنضرب امثلة بمدى تنوع مجالات ومجالى جوانب من تراثنا لم نتمكن بعد من تقييمها وبعضها منتشر فى مخطوطات التراث فاذا اقتصرنا على من رحل من المغاربة الى الشرق للحج او الجوار دون تصنيف رحلات خاصة عن اسفارهم وجدنا كثيرا من هؤلاء قاموا بدور طلائعى فى بلورة التبادل بين اجزاء العالم الاسلامى وقد كتبنا بحثا بعنوان «رسل الفكر بين المشرق والمغرب» لمحنا فيه الى اهمية هذه الجوانب ·

ومن هؤلاء : احمد بن عبد الله الغربى الرباطى الدكالى (1178 هـ / 1764 م) رحل الى المشرق عام 1140 هـ / 1727 م واخذ عن شيوخ مصر والحرمين وطار صيته فى الحجاز فاصبح احد سفراء الشرق لا فى المغرب الاقصى وحده بل من فاس الى (داكار) نظرا للدور الذى كانت تقوم به جامعة القرويين وعلماؤها بين الشناقطة واهل السنغال من خلال مذهب واحد تغلغلت جذوره فى قلب الحواضر والصحارى وهو مذهب امام المدينة مالك بن انس ويكفى ان نلاحظ ان المسمى على بن عبد القادر الشرقى باشا السودان (اى السودان الغربى او السنغال الحالية) هو الذى تراس ركب حجيج السودان عام 1040 هـ / 1630 م صحبة الرحالة المغربى ابن المليح الذى اشرنا آنفا الى رحلته حيث كانت مواكب الحجيج من (داكار) الى فاس تتجمع لتاليف قوافل ما يمكن ان نسميه اليوم بافريقيا الشمالية الغربية ·

وبعض هؤلاء الحجاج الذين لم يضعوا الرحلات صنفوا فى «مناسك الحج وءاداب الزيارة» كاحمد بن قاسم جسوس (1331 هـ / 1912 م) الذى توجد مخطوطة كتابه فى المكتبة العامة بالرباط عدد 1821، واحمد بلقاسم الكرسيفى السوسى ·

ومن المغاربة الذين جاوروا فى الحجاز وطافوا المعمور ناقلين روائع الفكر الاسلامى الحجازى وخاصة المكى والمدنى الى مختلف الجهات :

— سليمان بن احمد الطنجى المتوفى قبل 440 هـ 1048 م

(جذوة المقتبس ص 208 طبعة 1952) ·

— موسى بن ابراهيم ابـو هارون الاغماتـى المحدث (516 هـ / 1122 م) الذى التحق بعد مقام فى الحجاز بمصر وخراسان وما وراء النهر واقام بنيسابور (طبقات السبكى ومعجم ياقوت الحموى)

— على بن عتيق بن عبد الرحمن الفاسى الاصولى المفسر الحافظ (كان حيا عام 726 هـ / 1325 م) الذى استقر بعد فى « صفد » قبل العودة الى المغرب ·

— محمد بن موسى المراكشى المكى الذى سمع من شيوخ مصر ثم رحل الى الشام والقدس واليمن حيث ولى مدرسة الناصر واقام بها الى أن توفى عـام 823 هـ / 1420 م (الاعلام للمراكشى ج 4 ص 50 / ذيول طبقات الحفاظ) ، وقد اجاز له ابن عرفة (شذرات الذهب ج 7 ص 162) ·

— محمد بن محمد العقاد المكـى (1030 هـ / 1620 م) الذى مدح المنصور السعدى ملك المغـرب بموشحة عارض فيها موشحتى ابن الخطيب وابن سهل وتولى قضاء اليمن بتدخل المنصور لدى خاتان ملـك الاتـراك ·

— محمد المجيدرى اليعقوبى المغربى الذى كان احد اربعة لم يبلغ احد مبلغهم فى عصره وهو القـرن الثانى عشر الهجرى وكانت له جولات فى الحجاز وسائر اقطار الشرق ، وقد انفرد بعض طؤلاء الشيوخ علماء الشرق او بعض عواسم الشرق بالتاليف حيث صنف (جازم) صاحب المقصورة وشيخ ابن رشيد السبتـى «الدرة المضية فى تاريخ الاسكنـدرية» فى مجلـدات «والمستفاد من شيوخ بغداد» (درة الحجال ص 137) وماناب عواصم الشرق هو قل من كثر مما كتب حـول الحرمين الشريفين ·

— عبد الله السوسى الاديب الشاعر الذى اقام بتونس وفاق اقرانه ثم توجه الـى الشرق وخـاصة الحجاز واستفاد من علمائه وعاد الى افريقية حيـث نقله الامير على الى تونس (عيون الاريـب عما نشا بالمملكة التونسية من علم اديب للشيخ محمد النيفرج 2 ص 20 طبعة تونس 1351) ·

محمد بن خليفة المدنى الرحالة الشاعر الذى توفى بمكناس (1313 هـ / 1895 م) (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 178 — مخطوط) ·

— محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى الشاعر المحاضر دفين المدينة المنورة (1311 هـ / 1893 م) ·

له تاريخ فى علماء عصره (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 157 — مخطـوط) ، وقد افتتحه بشيخه على بن ظاهر الوترى مسند المدينة المنورة (1261 هـ / 1322 م) الذى زار المغرب مرتين (1287 و 1297) واخذ عن علماء مغاربة جلة وابن ظاهر هذا هو الذى احيا موات الرواية بالمغرب وانعشها بالمشرق (الاعلام للمراكشى ج 7 ص 135 — مخطوط) ·

— محمد بن احمد بن سالم الصباغ المكى الذى توفى فى رحلته الى المغرب (1321 هـ / 1903 م)

له « تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام » (الاعلام للزركلى ج 6 ص 247 / ملحـق بروكلمان ج 2 ص 815 / دار الكتب المصرية ج 5 ص 125) ·

وهنالك كتب اخرى انتشر خلالها تاريخ رجالات الفكر من علماء الحجاز ككتاب «ايماض البرق فى ادباء الشرق» لابـن الابـار البلنسى (658 هـ / 1259 م) واسماء شيوخ مالك لابن خلفون (636 هـ / 1239 م) · (توجد نسخة منه بالاسكوريال ف 1747) ومسند حديث مالك لابن الدباغ خلف بن قاسـم (393 هـ / 1003 م) وشروح الموطا كشرح ابن صاف الفاسى (642 هـ / 1244 م) و«تهذيب المسالك فى نصرة مذهب مالك» لابن دوناس الفند لاوى (543 هـ / 1148 م) (توجد نسخة منه فى المكتبة الحمزاوية بصحراء المغرب) والتمهيد لابن عبد البر وشروح ابى بكر بن العربى المعافرى وشرح ابن السيد البطليوسى (521 هـ / 1127 م) و «المرهب فى شرح الموطا» لابن الصفار يونس (429 هـ / 1038 م)

تلك نماذج مقتضبة يتضح لنا من خلالها مدى ما يمكن أن نستفيده من بعث تراثنا العربى الاسلامى فى مختلف مظاهره ومعطياته وهو بعث كفيل بالاسهام فى دعم تاريخ العروبة والاسـلام وخاصة فى مهـدهما بالجزيرة العربية عموما والحرمين الشريفين خصوصا كما يتضح لنا منها مدى متانة الروابط وعمق الصلات التى كانت تجمع بين شتى العروبة شرقا وغربا والتى جعلت من ارض الحجاز مهبطـا لانشـدتها ، وملتقـى لعلمائها ومنزلا روحيا لابنائها على مر العصور .